

الجارديان: هيمنة الدولار لن تدوم إلى الأبد في عالم متعدد الأقطاب



نشرت صحيفة الجارديان البريطانية تقريراً للكاتب لاري إليوت يسلط الضوء على تغير المشهد الجيوسياسي الحتمي بعيداً عن فكرة تأثير توسع كتلة البريكي التي أقرتها الكتلة الاقتصادية في قمتها الأسبوع الماضي.

يشير الكاتب في مستهل تقريره إلى أن اجتماعين دوليين كبيرين عُقدوا الأسبوع الماضي؛ كان الأول الذي أقيم في منتجع جاكسون هول في روكي ماونتن دليلاً على قبضة الولايات المتحدة على الاقتصاد العالمي، في حين كان الثاني الذي عقد في جوهانسبرج دليلاً على التحدي الذي يواجه أمريكا من دول الأسواق الناشئة.

في جاكسون هول، احتل جيروم باول مركز الصدارة، ذلك أن ما قاله رئيس البنك المركزي الأمريكي عن أسعار الفائدة كان مهماً بشكل واضح للولايات المتحدة، حيث خرج الاقتصاد حتى الآن سالمًا نسبيًا من أقسى تشديد للسياسة منذ أربعة عقود. وكانت الرسالة أن المعركة ضد التضخم لم تنته بعد وأن المزيد من الزيادات في أسعار الفائدة ممكنة.

ولكن بفضل مكانة الدولار بوصفه عملة احتياطية رئيسة في العالم، فإن ما يفعله باول وزملاؤه في الاحتياطي الفيدرالي في الأشهر المقبلة يؤثر على الحياة خارج أمريكا. ويجري تسعير سلع مثل النفط بالدولار. ويمكن للبلدان التي تقترض بالدولار أن ترى مدفوعاتها ترتفع إذا ارتفعت قيمة العملة الأمريكية. وتستخدم الدول التي تدير فوائض في الحساب الجاري العائدات لشراء سندات الخزنة الأمريكية، مما يمكن الولايات المتحدة من إدارة عجز كبير في التجارة والميزانية.

وعلى الجانب الآخر، وحسب ما يشير الكاتب، فإن الهيمنة المالية للولايات المتحدة لا تحظى بشعبية عالمية. وقد كان أحد الدوافع لإنشاء اليورو هو أن العملة الأوروبية الموحدة ستكون عملة احتياطية منافسة للدولار. كان اجتماع الأسبوع الماضي في جوهانسبرج لبريكس - البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب إفريقيا - محاولة أخرى لتشكيل تحد للنظام الدولي الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة.

هناك عدد من الأسباب لذلك. إذا نظرنا إليها من منظور دولة نامية، فإن الطريقة التي يدار بها الاقتصاد العالمي تبدو وكأنها عملية انتقائية. تسيطر الولايات المتحدة وحلفاؤها الغربيون على صندوق النقد الدولي والبنك الدولي منذ تأسيسهما في عام 1944. وبفضل مقاعدهم الدائمة في مجلس الأمن الدولي، يمكن للولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا استخدام حق النقض ضد أي مبادرات لا يحبونها. فيما بينهما، يمكن للولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي منع الدول النامية الرائدة من ممارسة أي نفوذ حقيقي في المؤسسات الاقتصادية الدولية.

علاوة على ذلك، من الواضح أن هذا ليس العالم أحادي القطب الذي تصوره صانعو السياسة في الولايات المتحدة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي. برزت الصين كمنافس حقيقي، ونجحت في توسيع مجال نفوذها.

ويلفت الكاتب إلى أن الاقتصادات الناشئة ترى أن النظام المالي الدولي الحالي يفضل القوى الغربية مثل الولايات المتحدة. وتبحث الدول عن بدائل لنفوذ الولايات المتحدة من خلال مبادرات مثل بنك البريكس وتوسيع العلاقات الاقتصادية مع الصين.

وقال الكاتب إن التحول في المشهد الجيوسياسي من خلال الدول المدعوة للانضمام إلى نادي بريكس في قمة الأسبوع الماضي أظهر ثلاثة منتجين للنفط (المملكة العربية السعودية وإيران والإمارات العربية المتحدة)، واثنان من أفريقيا (مصر وإثيوبيا) وواحدة (الأرجنتين) من أمريكا الجنوبية.

وسيكون من غير الحكمة النظر كثيراً في توسع بريكس. هناك توترات بين الصين والهند، وبين المملكة العربية السعودية وإيران، بينما جنوب إفريقيا حريصة على الحفاظ على علاقات جيدة مع الغرب. ومثل مجموعة السبع، فإن قمم البريكس هي في الأساس مهرجانات ثرثرة. ويزيد وجود 11 عضواً بدلاً من خمسة من فرص الخلاف. والحديث عن عملة بريكس لا ييؤخذ على محمل الجد.

وأضاف الكاتب أن الأمر سيستغرق سنوات - ربما عقوداً - حتى يتمكن البريكس من إنشاء بنية تحتية مالية مماثلة لتلك التي تدعم الدولار. وبشكل حاسم، سيحتاج المستثمرون إلى أن يكونوا على استعداد للاحتفاظ بسندات مقومة بعملة غير الدولار بقدر استعدادهم للاحتفاظ بسندات الخزنة الأمريكية.

وأكد الكاتب أن هيمنة الدولار ليست تحت التهديد المباشر في الوقت الحالي.

لكن قد لا يستمر هذا الحال للأبد، ذلك ان قرار السعودية الانضمام إلى البريكس يشكل تهديداً لهيمنة الدولار. كانت المملكة الغنية بالنفط تقليدياً حليفاً موثقاً للولايات المتحدة في الشرق الأوسط، لكن العلاقات بين واشنطن والرياض تراجعت مؤخراً بشكل ملحوظ. ومن المتوقع أن يقبل السعوديون بشكل متزايد دفع ثمن النفط من أعضاء بريكس الآخرين بعملاتهم الخاصة.

وأعربت وزيرة الخزنة الأمريكية، جانيت يلين، عن مخاوفها بشأن العواقب طويلة المدى لاستخدام العقوبات المالية كأداة للسياسة الخارجية الأمريكية، قائلة إن هناك خطراً «بمرور الوقت يمكن أن يقوض هيمنة الدولار».

يلين محقة في قلقها، إذ أن عملة واحدة قوية ومهيمنة تماماً لا تنسجم مع عالم متعدد الأقطاب. لكن لن يحدث ذلك بين عشية وضحاها ولكن التحدي للدولار قادم لا محالة، حسب ما يختم الكاتب.